التورية التى سيطرت عليهما ، ودفعتهما إلى الدعوة لها والعمل من أجلها ، ثم انتشار الحِكَم فى شعرهما التى تعكس تجاربهما فى الحياة ، وتحاول أن تفلسف نظرتهما إليها ، ثم قبل ذلك كله الإيمان بالعودة بالشعر إلى أصالته الأصلية وفطرته الأولى ، وتحريره وتصحيح مساره الصناعى ، ليعود إلى مساره الطبيعى الذى تحرك فيه رواده الأوائل وأصحابه الأصلاء ، ثم تتويجاً لهذا كله ظهور « القصيدة البدوية الحضرية » عندهما تعبيرا عن هذه المزاوجة البارعة بين البداوة والحضارة ، أو بين التراث والمعاصرة ، وفى ظنى أن المتنبى هو الأستاذ الأول للبارودى الذى تلقى عنه الصورة الأصلية للقصيدة العربية التى كان يبحث عنها ، وهو أيضا المثل الأعلى الذى كان دائما أمامه فى حياته الفنية ، بل ربما فى أكثر من موقف من مواقفه فى الحياة ، وفى أكثر من جانب من جوانب سلوكه فيها ، وتعامله معها ، لقد عاش المتنبى يحلم بالفارس العربى القديم ، وكذلك عاش البارودى فى أعماق حلم المتنبى به ، وأيضا بأحلام الفارس العربى الجديد الذى كان يرى نفسه صورة منه ، وأنه قادر على أن يعيد له دوره الذى قام به فى تاريخنا القديم ، والذى عليه أن يقوم به فى تاريخنا الحديث ، ولعل هذا هو الذى جعله يستبيح لنفسه أن يستعير منه تلك الصورة التى رسمها لنفسه ، والتى رأى أنها تمثل صورته أيضا ، فكما قال المتنبى :

وفؤادى من الملوكِ وإنْ كا ن لسانى يُرىَ من الشعراءِ

قال البارودى :

هَمتى همة الملوك ، ونفسى نفسٌ حُرٌ ترى المذلة كفراً .

وفى شعر البارودى المبكر الذى كان يحلم فيه بأن يعيد فروسية أجداده العرب والمماليك الذين سجلوا فى صحائف التاريخ أمجاد العروبة والإسلام ، وفى شعره الذى عاصر الثورة منذ أن كانت مرجلا يغلى فى صدور الجيش المصرى حتى انفجرت بركانا من عرابى ،نحس أصداء المتنبى الثائرة التى كانت